الحوار الايراني الامريكي بشأن العراق وآفاقه المستقبلية

المدرس الدكتور
حسين حافظ وهيب(*)

المقدمة:

الاهتمام الأمريكي بإيران كما الاهتمام الإيراني بأمريكا لم ينقطع بعد حصول الثورة الإيرانية، كذلك الحوار في ما بينهما، وهذه حقيقة يمكن إدراكها في العديد من المواقف التي أبدت فيها إيران تسامحا كبيرا إزاء الولايات المتحدة كما الأخيرة إزاء إيران رغم الخطاب السياسي والإعلامي المتشدد في ما بينهما .

أما الحوار المباشر فهو نتيجة منطقية لكل تلك السلسلة المتصلة من المساعي التي كان الغاطس فيها يمثل الجزء الأكبر .

تدرك الولايات المتحدة جيدا الأهمية الجيو إستراتيجية لإيران وإنها البوابة التي بدونها لا تستطيع أن تتحكم بأهم المناطق في العالم خاصة منطقة الخليج العربي وبحر قزوين ، ناهيك عن المناطق الأخرى الأقل أهمية،وتجربتها في العراق وأفغانستان أثبتت هذه الحقيقة بجلاء ، كذلك فإنها بدون إيران لا تستطيع لجم التطلع الروسي الصيني في الوصول إلى أغنى المناطق في العالم التي حافظت عليها منذ أيام الحرب الباردة ولحد الآن.

إيران مدركة تماما عدم إمكانية قيام اوتوبيا الدولة الإسلامية العالمية على قاعدة ولاية الفقيه، لكنها حملت المواقف المتعلقة بهذا الموضوع أكثر مما تحتمل، وخطبها النارية المتعلقة بالشيطان الأكبر وضرورة إزالة إسرائيل من الخارطة ليست لها أرضية واقعية،وقد كشفت تصريحات وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي في المؤتمر الاقتصادي الدولي في منتجع البحر الميت في ٢١-٥-٢٠٠٧عدم واقعية تلك التصريحات. وعلى هامش ذلك المؤتمر سئل متكي عن تصريحات الرئيس الايراني أحمدي

(*) مدرس في مركز الدراسات الدولية قسم الدراسات الاستراتيجية – سكرتير تحرير مجلة دراسات دولية - جامعة بغداد

نجاد المثيرة للجدل فأجاب قائلا "يعلم أي تلميذ في مدرسة ابتدائية إن من المستحيل محو أي دولة في العالم وازالتها من الخارطة(*).

فالقول إن ليس هنالك دولة قادرة على إزالة دولة أخرى من الوجود هو اعتراف إيراني ضمني بوجود دولة بدولة (إسرائيل) ،ودليل على عدم جدية تصريحات الرئيس الإيراني احمدي نجاد، والقبول بالحوار المباشر مع الشيطان الأكبر هو دليل آخر على بداية النهاية للطلاق الذي شارفت أعوامه على الثلاثة عقود، وان إيران تدرك بان الوقت قد حان لفض الخلاف بينها وبين الولايات المتحدة على خلفية الضعف الذي تبديه الاخيرة في اكثر من ملف ، لاسيما بعد انفراط عقد دول التحالف في العراق .

وانها يمكن ان تكون الحليف الانسب مثلما كانت في زمن الشاه ، والتاريخ القريب والبعيد يحدثنا عن إن إيران لم تدع فرصة إلا واستغلتها عبر كل مراحل الصراع بينها وبين الدول الاخرى ، بل الأكثر من ذلك أنها قد كسبت معظم الجولات وتوسعت على حساب الجوار، والشاطئ الشرقي الذي أوصى به بهلوي قد قضمته في حوار الجزائر ومن ثم اتفاقية عام ١٩٧٥وكانت قبل ذلك قد استولت على الجزر العربية الثلاث بالحوار والتنسيق مع بريطانيا التي لم تكشف النقاب حتى الآن عن الماهية التي تم فيها الاستيلاء.

الحوار الجديد حتما سيكون على حساب العراق وليس من اجل امن العراق، وإلا ما الذي ستخسره إيران إن أرادت أن توقف دعم المليشيات وفرق الموت من كلا الطائفتين دون التحاور مع الولايات المتحدة؟. لكن للحوار أغراضا أخرى سيعيش فصولها القارئ الكريم من خلال المحاور اللاحقة .

أولا :- دوافع نشوء وتطور الحوار الإيراني الأمريكي

الحوار بين إيران وأمريكا لم ينقطع بعد حصول الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ كما يعتقد البعض بل انه استمر وبوتائر مختلفة يمكن الاستدلال عليها من خلال العديد من الأمور ،فموضوعة إيران كيت هي دالة من دلائل تواصل الحوار في ما بينهما وان لم يكن بصورة مباشرة،كذلك فان في

(*)المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر جريدة القبس العدد الصادر في ٢١-٥-٢٠٠٧

خلفيات تغير العلاقة الإيرانية-العربية وخاصة الخليجية بعد احتلال العراق للكويت مع ما ابدته الولايات المتحدة من تأييد إزاء هذا التغير هو نوع من أنواع الحوار شبه المباشر[1].

وفي أثناء الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ تم عقد ثلاث محادثات سرية وتحديدا في أشهر كانون الثاني وآذار وأيار، اتسمت بالثنائية والمباشرة، برغم دخول الأمم المتحدة على خط تلك المحادثات لإضفاء طابع الرسمية عليها، ونوقشت خلالها فرص الالتقاء في الرؤى والتصورات لمرحلة ما بعد سقوط النظام السابق، وكان من الممكن أن تفضي تلك اللقاءات، وان كانت على مستوى ضيق، في إيصال الرسائل بين الطرفين من دون الحاجة إلى وسطاء، على غرار الاجتماعات التي عقدت خلال الحرب الأمريكية على أفغانستان، وقادها الدبلوماسي الامريكي زلماي خليلزاد، وتناولت المشاكل المتعلقة بالحرب ومستقبل المنطقة، لكن هذه اللقاءات، سرعان ما توقفت في العام المذكور، لتبدأ بعدها معركة دبلوماسية، عبر قنوات مختلفة، لم تخل من التهديدات والقفز على كل القضايا، ومن بينها قضية العراق[2].

وحتى الدعوة الأخيرة للحوار المباشر من قبل السيد عبد العزيز الحكيم رئيس قائمة الائتلاف العراقي الموحد والحوار الفعلي الذي جرى بعد ذلك لا يعني إن هذا الحوار كان منقطعاً ،فالولايات المتحدة تدرك بان إيران لاعباً أساسياً في منطقة الشرق الأوسط ، لذلك فإنها وظفت إيران الشاه كأحد الأقطاب الأساسية لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في مرحلة الحرب الباردة، وقد ازدادت أهميتها من وجهة النظر الأمريكية بعد التداعيات الخطيرة التي حصلت في البيئة الدولية لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك الكتلة الشيوعية وبروز جمهوريات أواسط آسيا الإسلامية على المسرح السياسي، كذلك فأن انتشار ظاهرة الإسلام السياسي في الكثير من بقاع العالم وما تلى ذلك من احداث ١١ ايلول المعروفة، واحتلال افغانستان ومن ثم العراق والاخفاقات الامريكية في الكثير من المعالجات الخاطئة سواءاً على مستوى تردي الاوضاع في العراق او على مستوى تسارع المسعى الإيراني في امتلاك تقنيات نووية كلها عوامل ساعدت وعززت من مكانة وأهمية إيران ليست الشرق أوسطيه تحديدا بل الدولية أيضا.

---

[1] د. حسين حافظ وهيب- الحوار الإيراني الأمريكي في العراق- أوراق دولية العدد ١٥٠-السنة الثامنة -نيسان ٢٠٠٦ ص

[2] خالد طالب-الحوارالايراني الأمريكي في مرمى التراشقات الكلامية ومقتربات المصالح-مؤسسة المدى للإعلام والثقافة- آراء وأفكار العدد الصادر في ٢نيسان ٢٠٠٧ص٢

إيران من جانبها تدرك أهمية التفرد الأمريكي على العالم وإمكانية الولايـــات المتحـــدة في تحجيمها عسكرياً واقتصادياً وتقزيمها إلى ابعد حد ممكن، وتدرك كذلك إن الولايات المتحدة تمسك بتلابيبها الأربع ومن الممكن أن تؤذي استمرارية وجود نظامها واستقراره،ولهذا فإنها وظفت العديد من المتغيرات الإقليمية والدولية لحماية كيانها ،ومن أهمها تصاعد التعاون السوري الإيراني والإيراني مع حزب الله وتحسين علاقتها مع بعض الدول العربية، كل ذلك لتوفير نطاق امني تستطيع من خلاله درء المحاولات التي تستهدف تقويض فعاليتها الإقليمية.

وعلى المستوى الدولي استطاعت إن تطور علاقتها مع ألمانيا وروسيا والهند والصين وان تُفعل بالشراكة مع تركيا ودول أواسط آسيا الإسلامية منظمة التعاون الاقتصادي لتمتين تلك الفاعلية .

إجراءات كلا الدولتين ذات أبعاد ومرامي سياسية واقتصادية وأمنية وهي وان اختلفت في النطاق والفاعلية لكنها كانت تصب في اتجاه واحد وهو ما يشبه الإجراءات التي كان يتخذها الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة الحرب الباردة لكي يتجنبا المواجهة المباشرة في ما بينهما.

لكن الحدث المهم الذي أدى إلى إمكانية حصول مواجهة بين الطرفين هو موضوعة احتلال العراق والتداعيات الحاصلة في ما بعد .

فإيران كانت حريصة على إزالة النظام العراقي السابق ولكنها ليست على استعداد لقبـــول فكرة تواجد القوات الأمريكية على حدودها الغربية ولفترة طويلة. ولذلك فإنها حرصت على العمل باتجاهين[٣].

الأول:محاولة إفشال الاحتلال الأمريكي من خلال إلحاق اكبر قدر من الخسائر في قواته ليس بشكل مباشر بل بصورة غير مباشرة وذلك بالتعاون مع دول الجوار العراقي وفتح الحدود وتـــسهيل مهمة عبور المقاتلين عبر أراضيها وأراضي تلك الدول في محاولة لدرء مخاطر نجاح الاحتلال في العراق وتداعياته على مستقبل النظم التي تعد مارقة من وجهة النظر الأمريكية.

كذلك فإنها سعت إلى تفعيل دورها على الساحة العراقية من خلال قيادات التيارات الدينية السياسية التي كانت ترتبط وإياهم بوشائج من التعاون في فترة النظام السابق وتمدهم بالمال والسلاح لمواجهته، وينبغي الاعتراف هنا بان إيران قد نجحت إلى حدٍ كبير في تعطيل المشروع الأمريكي وإرباك الأوضاع في العراق.

---

[3] د.حسين حافظ وهيب- نفس المصدر ص٢

أما الاتجاه الآخر:- فهو التسريع في البرنامج النووي إلى الحد الذي يجعلها قاب قوسين وأدنى من إنتاج السلاح النووي الذي يمكن أن يكون رادعاً للولايات المتحدة وإسرائيل أذا ما حاولا التعرض لها .

إن تحول إيران إلى فاعل شديد التأثير على الساحة العراقية مع ما رافق ذلك من تصاعد الخسائر الأمريكية وتراجع الدور الأمريكي في معالجة الكثير من الإخفاقات والتداعيات الخطيرة التي أعقبت مرحلة الاحتلال ، والإرهاصات التي شعرت بها دول الخليج العربي من جراء إمكانية تزايد فعالية ما سمي بالهلال الشيعي وامتعاض المملكة العربية السعودية والأردن وغيرها من الدول العربية من تعاظم الدور الإيراني ليس في العراق فحسب، بل في منطقة المشرق العربي برمته،كل ذلك كان دافعا للولايات المتحدة للبدء بتحجيم دورها من خلال

١. النطاق الخارجي: وذلك بدفع بعض الدول الأوربية ومن أهمها فرنسا وبريطانيا لتبني القرار ١٥٥٩ القاضي بسحب القوات السورية من لبنان وما يستبطنه ذلك القرار من محاولة نزع سلاح حزب الله واضعاف دوره في مواجهة إسرائيل بمعنى التقليل من الفاعلية الإقليمية لإيران[٤].

٢. بالضغط عليها من الداخل، وذلك بتصعيد ملفي ارتباط ايران بالمنظمات الارهابية وملف الأقليات، لكن كل تلك الاجراءات على ما يبدوا لم تفلح في ثني ايران عن المضي قدما في ترصين جبهتها الداخلية وكذلك علاقاتها الاقليمية[٥].

وبالتالي اصبح من الضروري للولايات المتحدة التفكير في الوصول الى حال من التفاهم ينهي على اقل تقدير التصاعد الخطير الذي يحصل في الخسائر الامريكية في العراق، لا سيما بعد الكشف عن اسلحة ايرانية شديدة التاثير على القوات الامريكية[٦].

كذلك فان الشعور المتزايد لدى الطرفين بان موضوعة العراق يمكن ان تكون اما مدخلا لحروب اهليه ليست في العراق فحسب، بل في المنطقه برمتها ولا يمكن التكهن بنتائجها، واما استثمارها كسبيل لحصول نوع من التقارب ينهي القطيعة بين الولايات المتحدة وايران، وتفادياً كذلك لتداعيات اخرى لاسيما في ظل التغييرات الاخيرة التي حصلت سواء في ايران بعد صعود التيار المتشدد

---

[4] طارق ترشيشي-دول القرار ١٥٥٩ من فشل رهان الى آخر. للتفاصيل ينظر الرابط التالي
Htt//www.marmarita.com/nuke-20.7.2005

[5] شبكة النبأ المعلوماتية- استمرار الحرب البريطانية الايرانية ١٩ تشرين اول ٢٠٠٥ للتفاصيل ينظر الموقع
www.annabaa.org

[6] خيتس- لدينا ادلة على تقديم ايران اسلحة للميليشات العراقية -الشرق الاوسط-١٢-٣-٢٠٠٧

بزعامة محمود احمدي نجاد والتصريحات النارية التي اطلقها بشأن المحرقة اليهودية وامكانية ازالة اسرائيل من الوجود، او في ظل التغير الذي حصل في نمطية الحروب العربية الاسرائيلية بعد صمود المقاومة اللبنانية في حرب ال٣٣ يوما التي يمكن ان نقول عنها بان اسرائيل قد خرجت منها دون نتائج مثمرة وللمرة الاولى في تاريخ حروبها مع الدول العربية ، وقد عد هذا الانتصار اوالصمود لدى البعض بمثابة فوز لايران في حرب جرت بالنيابة بينها وبين اسرائيل والولايات المتحدة .على الاقل من وجهة نظر المحافظين الجدد الذين رأوا في هذا التغير دافعا قويا لضرورة شن حرب ضد ايران وانهاء دورها الاقليمي الذي ربما يعرض المصالح الامريكية للخطر.

وتجنبا لكل تلك التداعيات ، لاحت رغبة امريكية في استئناف الحوار، على لسان وزيرة الخارجية الامريكية كوندااليزا رايس،وان كانت هذه المبادرة او الرغبة قد حصلت قبل عام من الحرب الاسرائيلية اللبنانية لكن نتائج تلك الحرب والخيبة الامريكية حول عدم امكانية تنفيذ خارطة شرق اوسطية جديدة تلك التي أكدت عليها رايس في بداية المعركة عززت من تلك الرغبة ، وقد اشترطت لكي تكون المفاوضات ناجحة وبناءة لا بد وان تسير وفق القواعد والشروط التي اجريت بها المحادثات بين الطرفين حول افغانستان، بمعنى ان لا تنصرف الى امور ابعد من موضوعة العراق في اشارة الى ثبات الموقف الامريكي من الملف النووي الايراني[٧].

وفي ايار٢٠٠٥، أعلن المتحدث باسم الخارجية الايرانية حميد رضا آصفي ان ايران تشترط لاجراء الحوار مع الولايات المتحدة الامريكية، ان تقوم واشنطن بتغيير "سلوكها وتوجهاتها" في اشارة واضحة الى الفلسفة الامريكية التي ترى في ايران الدولة المارقة او محور الشر ، ورافق هذا التصريح تصريحات مماثلة من مسؤولين ايرانيين آخرين، حتى عام ٢٠٠٦ وتحديدا في شهر اذار أعلن علي لاريجاني أمين عام مجلس الامن القومي الايراني، قبول بلاده بالحوار مع امريكا، مؤكدا، ان "الموافقة الايرانية جاءت استجابة لطلب من قائد المجلس الاعلى الاسلامي في العراق السيد عبد العزيز الحكيم"رغم ان هذه الموافقة لم تشترط ما ورد من تصريحات سابقة حول تغيير السلوك الامريكي ازاء طهران ، الا ان هذا الموقف شهد تراجعا بعد تصريح للرئيس الايراني محمود احمدي نجاد في نيسان ٢٠٠٦ اكد فيه "انه ومع وجود حكومة دائمة في العراق، فلا توجد حاجة ماسة للحوار مع الولايات المتحدة الامريكية"[٨].

---

[7] شروط امريكية للحوار المباشر مع طهران – قضايا واحداث للتفاصيل يراجع الموقعwww.dw-world.de

[8] خالد طالب- مصدر سابق ص٢

ويبدو ان الرغبة الايرانية في مباشرة الحوار قد تزامنت مع صدور قرار مجلس الامن الدولي ١٦٩٦،القاضي بتعليق ايران لنشاطاتها النووية وأعقب هذا القرار تهديدات امريكية باستخدام القوة، اذا لم تستجب طهران للقرار المذكور الذي رفضت تطبيقه مثلما رفضت تنفيذ مطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وأثار موقفها هذا أزمة شديدة بينها وبين المجتمع الدولي، وعاودت لغة التهديد والاتهامات بين المسؤولين الايرانيين والامريكيين.

ثانيا :-القوى الدولية والاقليمية المعيقة للحوار الامريكي الايراني

الواقع هناك الكثير من القوى الدولية والاقليمية التي تدفع باتجاه عدم حصول حوار بين الطرفين ويمكن رصد اهم اربعة معوقات او قوى دولية لا تحبذ حصول تقارب ايراني امريكي[9].

١ــ إسرائيل.

٢ــ بعض الدول الاوربية .

٣ــ بعض الدول العربية.

٤ــ القوى الثورية وحزب الله المؤيد للجمهورية الإسلامية.

ومع أن هذا الحصر ليس دقيقاً وكاملاً، لكنه يساعدنا إلى حد ما في الوصول إلى الكثير من النتائج الواقعية في متابعة ملف الحوار الايراني الامريكي .

تأتي (إسرائيل) في مقدمة المعارضين لتغيير العلاقة بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية وحدوث أي أمر إيجابي فيها، يساند الموقف (الاسرائيلي) هذا اللوبي الصهيوني الذي يتمتع بنفوذ وقوة في العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بسبب سيطرته على الاعلام ومعظم الشركات الاقتصادية وبعض المراكز الحكومية النافذة، وقد اتضح جليا أن هذا اللوبي كان يدفع باتجاه تشديد المواقف التي تم اتخاذها ضد البرنامج النووي الإيراني وتهديد إيران أكثر من مرة.

والسبب لا يعود فقط الى الموقف السلبي (الاسرائيلي) من ايران الاسلامية بل الى الموقف الايراني من (اسرائيل) ايضا ووجودها غير الشرعي في المنطقة فمن الواضح،ان الجمهورية الإسلامية هي المشكك الأساسي في امكانية استمرار وجود إسرائيل على الارض العربية ، وهي أهم رافض لاية

[9] لمزيد من التفاصيل انظر- سعيد بورسينا-الحوار الايراني الامريكي واربعة معارضين متناقضين-مختارات ايرانية- السنة السادسة ــالعدد٦٩- ابريل-٢٠٠٦ ص٤

عملية سلام مع (اسرائيل)،ويمكن ان يشار تاكيدا على ذلك الى دعوة المرشد الاعلى السيد علي خامنئي للدول العربية بعدم التفاوض مع اسرائيل في ما سمي بمؤتمر الخريف.

ومع أن توجه الجمهورية الإسلامية هذا لم يكن مصحوباً مطلقاً بأي تدخل عسكري، أو مواجهة مباشرة مع اسرائيل، إلا أنها اتبعت اسلوب الدعم المادي والمعنوي للمنظمات والاحزاب التي تناشز المشروع الصهيوني وتتخذ سبيل المواجهة المسلحة معه ، فالصهاينة هم دائماً أول المعارضين للحوار المباشر بين إيران والولايات المتحدة،كذلك فان ايران ايضا ترفض الحوار مع اسرائيل.

يرى قادة الكيان الصهيوني ايضا ان حصول تقارب ايراني امريكي قد ينهي والى الابد فكرة صراع الحضارات للصهيوني صموئيل هنتنكتون والتي لا زالت موضع رهان في احداث مواجهة مباشرة بين الدول الاسلامية والمسيحية تكون فيها الدولة اليهودية الطرف المساند للدول المسيحية، في محاولة لتحقيق سيطرة صهيونية مباشرة على الموارد الطبيعية للدول الاسلامية وخاصة الموارد العربية والايرانية .

اما المحور الاخر فهو الدول الاوربية، ومع أنها ليست قاعدة عامة بين الدول الأوروبية، لكن يبدو أن هناك قوة أساسية أوروبية، خاصة بريطانية وفرنسية لاسيما بعد وصول اليهودي المجري نيكولاي ساركوزي الى الرئاسة الفرنسية ويمكن عدّهما من المعارضين الأساسيين لكافة أشكال التعاطي المباشر بين إيران والولايات المتحدة ومما يعزز هذا الرأي ما ذهب اليه كوشنار وزير الخارجية الفرنسية لدى زيارته موسكو وتصريحه من هناك بان حربا وشيكة ستحصل ضد طهران وان فرنسا ستشارك الولايات المتحدة في منع ايران من الاستمرار في برنامجها النووي حتى لو تطلب ذلك عملا عسكريا[*].

جزء مهم من المعارضة الاوربية ناجم عن الخوف من ضياع المصالح الاقتصادية الهائلة التي حصدها الأوروبيون على مدى الـ ٢٧ عاماً الماضية، نتيجة المقاطعة الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة على ايران واذا ما رفعت هذه المقاطعة فان تلك المصالح ستكون عرضة لخسائر كبيرة .

في هذا الحصر، يتم تقديم العرب بوصفهم الجبهة الثالثة المعارضة للتعاطي المباشر بين إيران والولايات المتحدة، ومن المؤكد أن المقصود بالعرب ليس كل الدول العربية ، بل إنه طيف جدير بالاهتمام من دول المنطقة وتحديدا الدول الخليجية التي تدخل في منافسة مع إيران، ولهم علاقات وطيدة جداً مع الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا، فإن تحسناً في التعاطي بين إيران والولايات المتحدة يحتمل خروجهم من دائرة اهتمام الولايات المتحدة، وهذا الأمر ستكون له نتائجه الضارة بهم[10].

---

[*] نفس المصدر السابق ص٢

[10] نفس المصدر السابق ص٣

من بين هذه النتائج او المخاوف التي يمكن الاستشعار بها اذا ما توصل كلا الطرفين الى نوع من التفاهم يتمحور حول تصورعودة الدور الايراني الامبراطوري كشرطي امريكي شرق اوسطي وليس خليجي هذه المرة ، مدعوما ببعد جغرافي هو بمثابة الغاء حقيقي لاية فاعليه عربية[11].

وما حدث من موقف معروف تحت عنوان معارضة الجبهة العربية السنية للحوار الإيراني الأميركي بخصوص العراق، يأتي في هذا الإطار.والاخطر من ذلك ان ما كشفه لاحقاً قائد القيادة الوسطى الأمريكية الأميرال وليم فالون خلال جولة في المنطقة ابتدأت في البحرين في ١٦-٩-٢٠٠٧ تهدف الى "دفع الحلفاء العرب نحو تشكيل جبهة أكثر اتحاداً في مواجهة إيران"، على حدّ قوله[12].

وكان مسؤولون عسكريون أمريكيون قد ذكروا، عقب اجتماع فالون الى وزير الدفاع البحريني الشيخ خليفة بن أحمد الخليفة، إن قائد القيادة الوسطى يحمل رسالةً مفادها "أن دول الخليج تمثل خطاً رادعاً ومتقدماً ومهماً لمواجهة إيران". "رسالة" فالون واضحة: إن دول الخليج بصفتها تلك فانها ستشارك في الحرب ضد ايران عندما تقرر إدارة بوش ذلك.

إذ يبدو ان فالون يتخذ قرار مواجهة إيران نيابةً عن دول الخليج[13].

الجماعة الرابعة القلقة من حدوث تعاطٍ أكبر وأكثر مباشرة بين إيران والولايات المتحدة، هي جزء من القوى الثورية المؤمنة بايديولوجية الثورة الاسلامية في ايران ومن اهمها حزب الله المؤيد للجمهورية الإسلامية،كذلك حركة حماس والجهاد الاسلامي وهذه الجماعة ليست لها مصالح اقتصادية او مخاوف مستقبلية كالجماعات السابقة،بل لها رؤى وتصورات فكرية عن ما يجب ان تكون عليه طبيعة العلاقة مع الولايات المتحدة[14].

إن سابقة العداء بين إيران والولايات المتحدة والهوية الاستكبارية للأخيرة والتي تذكر في ثقافة الثورة الإسلامية باسم "الشيطان الأكبر" تجعل هذه الجماعة قلقة من أن أي تعاطٍ بين الجمهورية الإسلامية والولايات المتحدة سيشكك في مصداقية الشعارات التي تم تبنيها على مدى أعوام، وأنه سينتهك تدريجياً الهوية الثورية والاستقلال وعزة الجمهورية الإسلامية، إنهم الآن يتساءلون: هل تغيرت ماهية الولايات المتحدة أم أن الحوار بين هاتين الدولتين سيحمل رسالة للشعب الإيراني ومسلمي العالم مغايرة عن النهج الثوري التحرري للجمهورية الاسلامية؟

---

11 د-حسين حافظ وهيب-الحوار الايراني الامريكي بشأن العراق مصدر سابق-ص٢

12 د-عصام نعمان.الاعداد للسلم في مواجهة الاعدادللحرب.مركز الخليج للدراسات راي ودراسات٢-٩-٢٠٠٧ ولمزيد من التفاصيل انظر وكالة انباء البحرين في عددها الصادر في ١٦-٩-٢٠٠٧

13 نفس المصدر العدد الصدر في ٢٢-٩-٢٠٠٧

14 سعيد بورسينا- الحوار الايراني الامريكي واربعة معارضين -مصدر سابق ص٢

ومن المؤكد أن أي محاولة من جانب المسؤولين الإيرانيين في إطار الحوار أو التعاطي مع الولايات المتحدة لا يمكن أن تحدث متغاضية عن حركات المقاومة، ليس فقط لأن هذه الحركات لها دور أساسي في استمرارية وبقاء وصمود الجمهورية الإسلامية، بل لأن لهم حججهم القوية والأكيدة التي ارتبطت بالهوية الاستقلالية للجمهورية الإسلامية[١٥].

ثالثا :--اللقاءات المباشرة واثرها على الوضع الامني في العراق

رغم جهود معظم القوى المعيقة للحوار الايراني الامريكي فقد اثمرت الجهود باعلان الخارجية الايرانية موافقتها على البحث في مسألة العراق مع واشنطن، ورحبت الاخيرة بالاعلان، وأكدت انها ستجري بقيادة السفير الامريكي في بغداد رايان كروكر، فيما أكد المتحدث باسم مجلس الامن القومي في البيت الابيض غوردن جوندرو ان "هذه المحادثات لن تتناول الولايات المتحدة وايران بل العراق والدور السياسي البنّاء لايران فيه"، وجاءت الخارجية الامريكية، لتؤكد مجددا ان المحادثات لن تتناول الشكوك الغربية في البرنامج النووي الايراني، مشيرة الى ان "هناك أماكن اخرى لمناقشة القضية النووية"و في شهر اذار ٢٠٠٧أعلن علي لاريجاني أمين عام مجلس الامن القومي الايراني، قبول بلاده بالحوار مع امريكا، مؤكدا، ان "الموافقة الايرانية جاءت استجابة لطلب من قائد المجلس الاعلى الاسلامي في العراق السيد عبد العزيز الحكيم"، وكان اجراء الحوار قد عكس الرغبة العراقية القائمة منذ سنتين تقريبا في ضرورة ترك البلدين لخلافاتهما، جانبا، والعمل المشترك مع دول المنطقة على اساس المصالح المتبادلة.

وبالرغم من قبول الطرفين التفاوض واللقاءات المتكررة التي حصلت ، لكن لغة التهديد والاتهامات بين المسؤولين الايرانيين والامريكيين لم تنقطع واستمرت حتى خلال المفاوضات ، وذهبت ايران الى التشكيك في جدية عقد المباحثات الثنائية، وحمّلت امريكا مسؤولية الفوضى وتدهور الامن في العراق، وغالبا ما كان يشير مسؤولوها الى التخبط الامريكي، والسياسات الآحادية العدائية والاستعمارية للادارة الامريكية التي أكدوا انها تتجاهل مصالح الدول، ولاتكترث بحقوق شعوبها، وهي مصدر جميع المشاكل وغرورها وجهلها قادها الى هذا المستنقع، في المقابل جاء الامريكيون بوثائق استخبارية، تشير، الى تورط ايران في تدريب الآلاف من المقاتلين العراقيين، وتزويدهم بالاسلحة، وتوفير المساعدات اللازمة لتنفيذ عملياتهم المخططة بالطريقة التي يرونها، وهو ما أكده، أولا، مدير وكالة المخابرات المركزية الامريكية ميشيل هايدين أمام الكونغرس بالقول ان "الايادي الايرانية في

[15] نفس المصدرص٢

العراق تحث على العنف"، وتحدث عن شكوكه في البداية حول الدور الايراني المزعوم في العراق الى ان راجع بنفسه تقارير وكالة المخابرات، قائلا "لقد خلصت الى هذا الاستنتاج مؤخرا، ولقد تحول موقفي تماما في ضوء الدور السلبي للايرانيين داخل العراق". و لم تخفِ واشنطن ايضا اتهامها للايرانيين بالتدخل في عمل الحكومة العراقية، وتقويض جهودها في السيطرة على الاوضاع الامنية المتردية، وهو ما دعا العراق الى التخفيف من وطأة ذلك السباق المحموم، الذي ارتسمت حوله تكهنات بضربة استباقية وشيكة لايران، ما يفتح الباب أمام كارثة اقليمية، سيكون العراق الخاسر الأكبر فيها،لا سيما بعد أحدث تصعيد كلامي بين الطرفين، اذ حذر الرئيس الايراني من الامارات في اطار جولة زار فيها دولا عربية مؤخرا تزامنت مع زيارة كبير صقور الادارة الامريكية ديك تشيني للعراق والسعودية ومصر والاردن، من "رد ايراني قاس سيدفع أمريكا الى الندم" اذا ما أرتكبت " خطيئة" ضربها للجمهورية الاسلامية، وهذا التصريح يأتي ردا على تحذيرات أطلقها تشيني من على متن حاملة الطائرات "جون ستينيس" بشأن مغبة مضي طهران قدما في برنامجها النووي،وكانت الدبلوماسية العراقية ناشطة خلال وقبل ذلك الوقت حيث قامت بجولات مكوكية لكبار المسؤولين العراقيين، والى دول عدة، كان من بينها ايران والولايات المتحدة الامريكية، في محاولة لترع فتيل الأزمة والبحث عن نقاط التوافق التي تخدم جميع الاطراف، والالتقاء في نقطة محورية، ترتكز على كيفية تحقيق الاستقرار في العراق والمنطقة، وبذل الجهود الحثيثة لمنع الوقوع في شرك النزاعات الطائفية والقومية، التي من شأنها ان تصدع أوصال المشرق العربي والاسلامي، لاسيما، ان بعض دول هذا المشرق، ومن بينها ايران، نفسها، تعاني أصلا مشاكل داخلية في الجنوب والجنوب الشرقي، والشمال والشمال الشرقي منها حيث الاقليات القومية والطائفية، والحال هو نفسه في كل من تركيا وسوريا والسعودية الى حد كبير، الحراك السياسي والدبلوماسي للعراق، سبقه ورافقه حراك آخر تبناه الديمقراطيون الامريكيون في الكونغرس الامريكي، من خلال الضغط باتجاه الأخذ بتقرير مجموعة دراسة العراق –بيكر هاملتون"، الذي أوصى بضرورة الانفتاح على ايران سوريا واجراء حوار مباشر معهما للخروج بتوافقات من شأنها، أن تعيد تصويب السياسات الامريكية في المنطقة، وتجنب الامريكيين هزيمة أشد مرارة من هزيمتهم في فيتنام، وفي هذا السياق يتساءل مستشار الامن القومي الامريكي زبيغنيو بريجينسكي، في محاضرة ألقاها في "المركز الامريكي للتقدم" عن سبب الموقف الامريكي المتعنت في سلبيته تجاه ايران، بالقول "لماذا سياستنا تجاه ايران مختلفة عن السياسة التي نتبعها تجاه كوريا الشمالية؟ لماذا لا نتفاوض مع الايرانيين؟" وأضاف " أعتقد ان الوقت على المدى الطويل لصالح الولايات المتحدة في ما يخص ايران، وبالتالي فان

التحاور مع ايران واستيعابها وتأخير برنامجها النووي أفضل من المواجهة معها، والتي ستؤثر حتما في استقرار المنطقة"، كما ان القوى المعتدلة والواقعية في ايران تدرك تماما ان عراقا يهوي الى الحرب الأهلية، ليس من مصلحتها في كل الاحوال، اذ يشير المتحدث باسم الخارجية الايرانية محمد علي حسيني الى هذه الحقيقة، بالقول ان "العنف في العراق ليس جيدا لاي بلد في المنطقة، أمن العراق هو أمننا واستقراره ضرورة للسلام والأمن في العالم[16].

بعيداً عن هذه الاجواء المشحونة، التي نعتقد انها تأتي في اطار مناورات لكسب الوقت، بغية أملاء شروط تستبق المحادثات تم اجراء ثلاث لقاءات في مبنى رئاسة الوزراء العراقية،اهمها الاجتماع الثاني .

الوفد الايراني كان برئاسة السفير الايراني في العراق حسن كاظمي قمي والامريكي برئاسة السفير رايان كروكر، اما الوفد العراقي فقد كان برئاسة وزير الخارجية العراقي صدر بيان حكومي بعد انتهاء المباحثات جاء فيه ان "واشنطن وطهران اكدتا دعمهما لوحدة وإستقلال العراق، وإحترام سيادته وعدم التدخل في شؤونه الداخلية وتأييد حكومة نوري المالكي ودعم جهودها في بسط الأمن والإستقرار ومحاربة الإرهاب[17].

كما أكد الطرفان الأميركي والإيراني دعمهما للعملية الديمقراطية في العراق، وإنتهى الحاضرون إلى تشكيل لجنة أمنية ثلاثية لحل جميع الإشكالات القائمة أو التي يمكن أن تحصل لاحقاً، وستركز جهودها على التعاون من أجل ملاحقة الإرهاب والمجموعات الإرهابية في العراق وعلى رأسها تنظيم القاعدة الإرهابي ودعم الإستقرار في جميع أرجاء العراق وملاحقة الخارجين على القانون والعناصر المتطرفة.

مراقبة الحدود العراقية- الإيرانية وضبطها والتعاون من أجل منع العناصر المعادية من إختراق هذه الحدود والإضرار بمصالح البلدين. وللّجنة معالجة كافة الأمور التي من شأنها تعزيز أمن وإستقرار العراق على حد تعبير البيان الصادر عن الحكومة العراقية[18].

لكن اعلان السفير الامريكي خلال المؤتمر الصحفي الذي اعقب الاجتماع جاء مخيبا للآمال حيث ذكر ان كثيرا من الحوار في اجتماع بغداد لم يكن وثيق الصلة بموضوع امن العراق .

---

[16] خالد طالب –الحوار الايراني الامريكي في مرمى التراشقات الكلامية ومقتربات المصالح – المدى آراء وافكار مصدر سابق ص٣

[17] عباس عبود سالم- العراق الى اين- الحوار الامريكي الايراني واعادة النظر في دوافع الصراع-العددالصادر في ٢٩-٧-٢٠٠٧ص١

[18] نفس المصدرص٢

وقال كروكر بعد الاجتماع لعدة ساعات مع السفير الايراني حسن كاظمي قمي "الشهران المنصرمان منذ مايو لم يكونا مشجعين تماما". وقد أبدينا قلقنا ازاء الانشطة الايرانية والدعم لمليشيات تقوم بأعمال عنف سواء عن طريق التسليح أو التدريب.

وأشار ستعمل الأطراف الثلاثة سويا (العراق- أمريكا- إيران)، خلال الأيام المقبلة، على تفعيل تشكيل اللجنة الأمنية التي ستضم خبراء فنيين لبدء عملها لوضع آلية محددة في أقرب وقت ممكن. وأوضح أن اللجنة الأمنية ستعمل بالطريقة الفنية لمحاربة تنظيم القاعدة، وضبط الحدود العراقية، وكيفية العمل على مواجهة التحديات التي تواجه العراق.

وتحدث السفير الأمريكي عن الحوار الثلاثي المشترك، بقوله "رأينا خلال الحوار أن نضع المبادىء التي تحكم علاقتنا مع العراق، ودعمنا حكومة المالكي من اجل تأسيس الأمن والإستقرار، وإيجاد رؤية مشتركة حول السلام في العراق لكي لايتعرض إلى تهديد خارجي.

ونوه بأن الولايات المتحدة "لديها أدلة تثبت تورط الإيرانيين في دعم المسلحين في العراق"، وقال "نحن لانعتقد أننا في وضع لتقديم أدلة لمحاكمة الإيرانيين في محاكم القانون نحن نشير إلى أننا نعلم بما يقومون به، واليوم قدمنا لهم أدلة حول مايقومون به."

وأضاف "قلنا للجانب الإيراني ماذا يجب أن يفعلوا تجاه هذا الموضوع، وأن الموقف الايراني المعلن لدعم العراق غير مطبق على أرض الواقع، فالعراقيون متضررون بالدرجة الأولى من سياسة نظام صدام حسين والحروب التي خاضها، وإيران المتضرر الثاني من النظام السابق. وقال عبرنا عن قلقنا، وعبر الجانب الإيراني عن وجهة نظره ، مشددا على أن النتائج على أرض الواقع " تبقى هي المعيار لنتائج الحوار."

وأعرب السفير الأمريكي عن اعتقاده بأن الجانب الإيراني إذا كان جاداً في اتخاذ موقف مختلف عن سياسته السابقة في العراق فإن ما سينتج على أرض الواقع الأمني العراقي سيكون مختلفا تماماً عن الأحداث الحالية، لأن ما نراه اليوم هو تصعيد للوضع الأمني، وليس تخفيضا[19].

رابعاً :-قراءة في مستقبل العلاقات الايرانية- الامريكية

رغم تواتر اللقاءات الامريكية الايرانية في العراق، يبدو أن الرئيس الامريكي بوش يسعى جاهدا لتوجيه ضربة عسكرية لايران بغض النظر عن تقرير قائد قواته في العراق الجنرال ديفيد بترايوس وسفيره في بغداد ريان كروكر الذي تم تقديمه في منتصف ايلول ٢٠٠٧ والذي لم يكن مشجعا لاتخاذ

---

19 نفس المصدر ص٣

مثل هكذا اجراء، لكنه أعلن بوضوح أن لا انسحابا أمريكياً وشيكاً من العراق واصفا اياه بأنه "الخط الأول لأمن الولايات المتحدة ولمواجهة إيران". من هنا يمكن ان نتصور بان الولايات المتحدة عازمة على ضرب ايران وهذا هو السيناريو الاول .

فقد شن الرئيس بوش هجوماً سياسياً على طهران أمام اتحاد قدامى المحاربين، وُاصفا اياها ب (وجه الشيطان) ، مطالباً حكومتها بما يشبه الإنذار بأن "تتوقف على الفور عن دعم المتمردين الذين يستهدفون القوات الامريكية في العراق.

وفي معرض اسباب غضب الرئيس الامريكي من ايران فانه يعزي ذلك لاسباب ثلاث فإيران، في رأيه، "نظام إرهابي يدعم جميع الفصائل الإرهابية في المنطقة" محددا تلك الفصائل ب "حزب الله في لبنان الذي يحاول اجهاض الحكومة الديمقراطية" وحركتي "حماس" و "الجهاد الإسلامي" اللتين "تهددان أمن إسرائيل" واخيرا "طالبان" في أفغانستان التي تهدد أمن الحلف الأطلسي.

وثانيا لأن نجاح ايران في امتلاك اسلحة نووية فان ذلك يعني انهزام أمريكا "البلد الأكثر استراتيجية في العالم والى حصول محرقة نووية وسيطرتها على مصادر الطاقة في المنطقة وحرمان الدول الغربية منها .

وثالثا لأن "أمن العالم برمته وأمن الولايات المتحدة تحديداً، سيتأثر بشكل حاسم بمستقبل الأوضاع في العراق"، مستنتجاً ان "مستقبل العالم الحرّ سيُحدد في الشرق الأوسط الذي يتوسطه العراق".

وبعد استعراض تلك الاسباب يحدد الرئيس الامريكي غايته من مهاجمة ايران فيقول إنها القضاء على "وجه الشيطان" الذي بات له، في رأيه، جناحان: احدهما إسلامي سنّي يجسّده تنظيم "القاعدة"، والآخر شيعي إيراني هو "قلب الإرهاب" في الشرق الأوسط. القضاء على "وجه الشيطان" يبدو، في كلام بوش، مهمة مستعجلة. فهو يعلن، بصراحة، "إننا سنقضي على هذا الخطر قبل فوات الأوان" وهو بذلك يعني قبل أن تمتلك إيران أسلحة نووية وتسيطر على مصادر الطاقة في المنطقة، و"كي لا نضطر إلى مقاتلتهم هنا في أرضنا"، ويعني بهم المتطرفين السنّة من جماعة "القاعدة" والمتطرفين الشيعة من جماعة إيران الذين "يدربهم حزب الله"، على حدّ زعمه.

هكذا تبدو المنطقة، حسب خطاب بوش، منقسمة إلى معسكرين: الأول تقوده الولايات المتحدة ويضمّ حلفاءها الأطلسيين، إلى جانب حكومات المعتدلين العرب وفي مقدمهم حكومتا محمود عباس في فلسطين وفؤاد السنيورة في لبنان اضافة الى الاردن ومصر والمملكة العربية السعودية. الثاني تقوده إيران ويضمّ سوريا إلى جانب تنظيم "القاعدة" الناشط في المنطقة، وحركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" الناشطتين في فلسطين، وحزب الله الفاعل في لبنان والذي يتولى، بحسب مزاعم

بوش، تدريب "المتمردين" من متطرفي الشيعة والسنّة الذين يقاومون قوات الاحتلال في العراق.

من الواضح ان الرئيس الأمريكي اكد في اكثر من مناسبة خيار الحرب على ايران لكنه لم يحدد فترة زمنية لمباشرتها. وان تحديد إيران كمصدر للخطر على أمن الولايات المتحدة ومصالحها بل على أمن العالم الحرّ (الغرب) لا يعني بالضرورة استهداف إيران في هذه المرحلة.ما يؤكد ذلك قول الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد من ان ايران لا تتوقع هجوماً أمريكياً عليها في هذه الآونة وانه يجزم بأن ذلك "مستحيل"، لأن واشنطن تواجه "ما يكفيها" من الخسائر والمشاكل في العراق وأفغانستان. بل هو يتوقع النقيض: أن ينهار الاحتلال الأمريكي في العراق، ما يؤدي إلى حصول "فراغ قوة"، قال إن إيران مستعدة لملئه بالتعاون مع السعودية ! لكن، هل يستبعد الرئيس الإيراني هجوماً "إسرائيلياً" قريباً على سوريا؟ نعم ربما يكون ذلك ممكنا، إذ إن استهداف إيران قد يبدأ باستهداف حلفائها بقصد إضعافها بضربهم قبل التركيز عليها في نهاية المطاف.

لنظرية "إضعاف إيران أولاً" اكلافا اقل من كلفة الحرب المباشرة وأنصار هذه النظرية في إدارة بوش هم انفسهم اصحاب نظرية اضعاف العراق قبل غزوه وفي مقدمة واضعي هذه النظرية نائب الرئيس ديك تشيني. الذي يعتبر إضعاف إيران شرطاً لخروج أمريكا بشكل لائق من العراق.

وثانيا ان للنظرية دوافع اخرى تتعلق بأمن "إسرائيل"، إذ يؤدي ضرب حلفاء إيران، كسوريا و"حماس" وحزب الله، ناهيك عن تنظيم "القاعدة"، إلى إزاحة إيران عن حدودٍ جغرافية واستراتيجية، ملاصقة ل "إسرائيل" ومهددة لأمنها، فوق ذلك، فإن ضرب حلفاء إيران في سوريا ولبنان وغزة يؤدي إلى دعم حلفاء أمريكا و"إسرائيل" في تلك البلدان وربما إلى إنقاذ حكومتي عباس والسنيورة وإضعاف نظام بشار الأسد.

كذلك فان لـ"إسرائيل" مصلحة استراتيجية عليا في ضرب حلفاء إيران، فالكيان الصهيوني يعاني من سيطرة "حماس" على قطاع غزة وتصعيدها عمليات المقاومة على المستوطنات المجاورة للقطاع، مع احتمال نقلها إلى العمق، كما أن "إسرائيل" لم تتمكن بعد من الإفاقة من صدمة اندحارها أمام حزب الله في "حرب ال٣٣ يوما" العام الماضي. إلى ذلك، فإن "إسرائيل" تتوجس خيفةً من تقدّم البرنامج النووي الإيراني واحتمال نجاح إيران في تصنيع أسلحة نووية في المستقبل المنظور، لذلك فانها تضغط كما اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، لحمل إدارة بوش على استكمال "معروفها" في حماية أمنها بضرب إيران بعدما استجابت لها باحتلال العراق.

يتحصّل من مجمل هذا التحليل أن ضرب حلفاء إيران في هذه الآونة احتمال قائم وجدّي

ويجب التحسب له. وليس من المستبعد، في هذا المنظور، أن تشنّ "إسرائيل" الحرب على سوريا (وعلى المقاومة في لبنان) خلال أشهر الخريف القادم تمهيدا لشن حرب شاملة على ايران[20].

اما السيناريو الاخر فهو اقل تشاؤما ويخلص الى القول ان ثمة رؤيتان متناقضتان في مسالة الحوار الايراني الامريكي.

الاولى ترى ان مصالح مشتركة بين الطرفين تدفع باتجاه ضرورة انجاحهما لهذاالحوار أولها، ان المصلحة الأمريكية، واضحة، فالعنف المتصاعد قوّض مشروعها الاحتلالي في العراق، ووضعها في زاوية محرجة، وفي مرمى ضغوط واتهامات وتساؤلات متزايدة من الداخل حول جدوى الحرب، وضرورة تحديد أفق واضح لخروج قواتها من العراق، والبحث في إمكانية التعاون مع الفرقاء في المنطقة من أجل محاربة الإرهاب، بدلا من التدخلات العسكرية وفتح الجبهات، التي من شأنها ان تغذي" القاعدة"، كما ان أمريكا تسعى من خلال هذه المفاوضات، أيضا، إلى الوصول بتفاهمات، تطمئن المتحالفين معها، لاسيما من دول عربية.

اما المصلحة الايرانية، فتتجسد في توسيع هذه المباحثات واستخدامها كجسر لمفاوضات واسعة مع الامريكيين، تدخل فيها قضية البرنامج النووي ،ومحاولة ايقاف العقوبات الدولية ، وحلحلة القطيعة الدولية، وكسر طوق عزلتها، واستثمار الحوار في معالجة ملف منظمة "مجاهدي خلق" المعارضة للايرانيين، ومنع انزلاق العراق الى الحرب الاهلية، التي لا يمكن بطبيعة الحال التكهن بنتائجها، لاسيما في ما يتعلق بنظام الحكم في العراق الذي سيولد من رحم هذه الحرب.

ان العراق بحكومته الحالية سوف لن ينجر الى سياسات عدائية تجاه ايران ، وربما اذا ما استطاعت ايران انجاح مفاوضاتها مع الولايات المتحدة فانها تستطيع ان تقوض جهود الاستقطابات الطائفية والقومية التي تهدد كيانها، لاسيما عقب بروز "حلف امني لحماية الدول العربية أرضاً ومصالح" دعت إليه المملكة العربية السعودية مؤخرا[21].

أما الرؤية الأخرى فترى أن الولايات المتحدة ساهمت بوصفها دولة احتلال فى زيادة الدور الحيوي الذي تلعبه طهران بصورة مباشرة أو غير مباشرة، عن قصد أو بدونه، ولم يعد هناك مجال للتشكيك في قدراتها وتحكمها في عدد من المفاتيح المركزية التي تؤثر ولا تزال في بعض التطورات الرئيسة ويمكن الاشارة في هذا الصدد الى تصريح وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في القول (ان الولايات المتحدة قد قدمت العراق

---

[20] د عصام نعمان –هل يحاول بوش ازاحة ايران عن حدودها مع اسرائيل- مركز الخليج للدراسات والنشر – راي ودراسات -١-٩-٢٠٠٧ص٢

[21] خالد طالب، مصدر سابق ص٣

لايران بطبق من ذهب)، ونجحت طهران منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق في تكريس نفوذها مستفيدة من فراغ القوة السائد في كثير من المناطق العراقية، وبالتالي يضفى الحوار المشترك في هذه الأجواء مصداقية على قوة الدور الإيراني،وينطوي على التسليم بقوتها الإقليمية كعنصر مهم في التوازنات، وأنها تملك من الأوراق ما يمكن أن يلعب دورا في مجالاتها الحيوية .

ويؤكد الحوار في حد ذاته أن الحفاظ على المصالح الأمريكية هو الذي اجبر الادارة الامريكية للتفاوض مع طهران وهو ما يوضح بجلاء حجم النفاق السياسي الذي تتعامل به تلك الادارة ، ففي خضم ثورة عارمة من الحملات الدبلوماسية لم تتردد واشنطن من السعي لتدشين الحوار مع طهران،ورغم ان الادارة الامريكية تصر على عدم تجاوز الحوار موضوع الامن العراقي الا ان الوقائع تشير الى امكانية أن يمتد إلى قضايا أخرى عالقة ، مثل الملف النووي. فمن الممكن أن يؤدى التفاهم حول العراق إلى تفاهم مماثل حول البرنامج النووي وتشير معطيات الحوار إلى عدم وجود دور فاعل للدول العربية، الأمر الذى يعنى تقليصا لأهمية مبادرة الجامعة العربية بشأن المؤتمر الوطني العراقي، الذى كان من المقرر انعقاده في فبراير ٢٠٠٧ فى بغداد وأضحى فى عداد المجهول، ناهيك عن التأكد من إخفاق جهود دول الجوار التي حاولت الإمساك بمفاتيح الأزمة العراقية و لم تتمكن من تحقيق نجاحات مؤثرة أيضا، عبر المؤتمرات واللقاءات التي عقدت في عواصم مختلفة، وربما يفتح التقدم الإيراني، على حساب التراجع العربي، الباب لحث الجامعة العربية للبحث عن إستراتيجية جديدة حيال العراق.

فاستمرار غياب دور فاعل للجامعة في العراق سوف يهدد فى المستقبل المزيد من مفاصل الأمن القومي العربي.

ومن جهة أخرى، يفضى الحوار إلى توارى فرص تكرار سيناريو المشهد العراقي مع إيران. فإجراء محادثات ولقاءات بين مسؤولين من الطرفين يؤكد خبرة طهران بأساليب مقاومة هذا الاحتمال بأدوات عملية.

وإذا كانت طهران فعلت ما فعلته فى دولة مجاورة ودفعت فى الحصيلة النهائية واشنطن للحوار والتفاهم معها، فإنها من الراجح أن تتمكن من القيام بدور أضخم حال تعرضها لسيناريو مماثل، بعد أن عرفت مكامن الضعف فى التوجهات الأمريكية. ومن هذه الزاوية تتوافر عوامل إيجابية لضمان سلامة النظام الإيرانى خلال الفترة المقبلة، وتتعزز رؤيته عندما وجه تهديداته وإنذاراته لإسرائيل وكثير من الدوائر الغربية، عكس ما تم تصويره فى ذلك الوقت، حيث جرى الترويج لاقتراب تعرض طهران لضربة قاصمة وعدم وجود أى بوادر للحوار معها من قبل الولايات المتحدة.

وتكسر هذه النتيجة ما يوصف بشوكة الشيطان الأكبر علانية، بعد القبول بالحوار، برغم كل المزايدات والنعوت التي وجهت إلى إيران. على ضوء المعطيات السابقة يمكن القول أن ثمة أربعة مخاطر وتحديات سوف تخرج من رحم الحوار الإيراني – الأمريكي[٢٢].

اولها ان يتحول العراق الى ساحة لتصفية الحسابات بين الولايات المتحدة وايران، ومن ثم فأن مثل التسوية بينهما يمكن أن تترتب عليها نتائج تضر بالمصلحة العراقية، مما يخلق بؤرة أكبر للتوتر بين بغداد وطهران في المستقبل. فمهما بلغت التفاهمات وقواسمها بين النظام الإيراني والائتلاف العراقي، بصفته الشريك الرئيسي في الحكم حاليا، فإن وجود حلفاء آخرين معه يمكن أن يتسبب في ظهور منغصات على السطح بموجبها تتحول إيران إلى طرف سلبي في المعادلة.

وثانيها، إمكانية حدوث مساومة على العراق، بمعنى تسهيل مهمة واشنطن مقابل ترك طهران تمضي قدما في ملف تخصيب اليورانيوم. وإذا كانت هذه المساومة تحقق الأهداف العاجلة لكل طرف، غير أنها تبقى على عوامل الخلاف ولا تزيلها. فلا يعني مساعدة الولايات المتحدة على حل كثير من أزماتها في العراق تخلي إيران عنه تماما. ولا يعني إعطاء ضوء أخضر لطهران بتخصيب اليورانيوم، وفقا لأي صيغة يتفق عليها، أن واشنطن سوف تغلق هذا الملف نهائيا، لأن مكونات التباين تبقى على حالها وتتوارى مؤقتا إلى حين يتمكن كل طرف من الوصول لأغراضه .

وثالثها، إذا كان أي تفاهم مشترك حول العراق يفتح الطريق لتخفيف الصعوبات أمام الملف النووي، فإنه من غير المستبعد أن يؤدي إلى تفاهم آخر حول سوريا، التي أصبحت هدفا متقدما في الأجندة الأمريكية، لاسيما أن هناك اعتقادا في أن الوصول لدمشق يمر عبر تجريدها من أوراقها الإقليمية. وقد جرى ذلك في لبنان، والمتوقع أن يتكرر مع إيران بصيغة أخرى، خاصة أن الثمن السياسي الذي تقبضه طهران من الراجح أن يكون جيداً، والطريقة التي يمكن أن يتم التفاهم حولها مناسبة، ومشكلة هذا الاحتمال أنه ينال من مصداقية طهران.

ورابعها، فشل المحادثات، جراء تمسك كل طرف برؤيته سوف يفضي إلى زيادة حدة المحكات، ليس فقط بشأن العراق، لكن في كل الملفات الخلافية، وهو ما يؤدى إلى تداعيات كبيرة، على ضوء صدور تهديدات معلنة أو مبطنة باستهداف كل جانب للآخر. ودرجت طهران في الأسابيع الماضية على إطلاق تهديدات في شكل رسائل سياسية، قوامها أنها لن تعدم استغلال كافة أوراقها

[22] محمد ابو الفضل -دلالات الحوار الامريكي الايراني حول العراق-مختارات ايرانية العدد٦٩مايو ٢٠٠٦ص١-٦

المتعددة، وبالتالي فعدم التفاهم يتسبب في مزيد من التوتر، لأن الملفات التي يملكها كل طرف مهمة وكفيلة بإحداث خلخلة أكبر في الأمن الإقليمي.

الخلاصة والاستنتاجات

باستثناء التغيير الذي حصل في الخارجية ومستشارية الأمن القومي، لم يتغير صناع السياسة الخارجية الأمريكية الذين اتخذوا قرار الحرب على العراق ،فالرئيس بوش لا زال محتفظا بولايته الثانية ،والمحافظون الجدد هم أنفسهم الذين يوجهون ويديرون ملفي السياستين الداخلية والخارجية،الخطوات التي اتخذت تجاه العراق لا زالت تتكرر بصدد إيران ،من تأكيد الحاجة إلى إسقاط النظام، والتركيز على تطوير أسلحة الدمار الشامل ،ودعم الإرهاب، والمحافظة على امن واستقرار المنطقة ،وحماية امن إسرائيل،ولازال ملف إيران النووي عالقا في أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ،الولايات المتحدة ماضية في محاولة فرض مزيد من العقوبات الاقتصادية وربما في نهاية المطاف عسكرية على إيران ،رغم تردد روسيا والصين في الانضمام إلى التوافق الدولي وهو ما يذكرنا بأوضاع المجتمع الدولي إزاء العراق قبل الاحتلال ،ولا يوجد ما يشير إلى إن الولايات المتحدة سوف تغير بشكل غير متوقع سياستها بشأن الملف النووي أو غيره من الملفات،كذلك ليس بالإمكان أن تعدل إيران من موقفها بشكل مفاجئ وتوقف نشاطاتها النووية في ظل تصريحات القادة الإيرانيين بان إيران لن تتخلى عن حقها في امتلاك تقنيات نووية للأغراض السلمية،والخطب النارية للرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد من ان الولايات المتحدة سترتكب حماقة كبيرة اذا ما هاجمت ايران ، تذكرنا بخطب الرئيس العراقي السابق صدام حسين قبيل بدء الحملة العسكرية على العراق،من إن الجيوش الأمريكية سوف تقبر عند أسوار بغداد،والرسائل التي كان يوجهها الرئيس العراقي السابق إلى الإدارة الأمريكية تماما كما هي الآن رسائل الرئيس الإيراني لم تلقَ آذاناً صاغية .

إستراتيجية الأمن القومي التي أعلنت في آذار ٢٠٠٧ هي نفسها التي تم تبنيها في عام ٢٠٠٠مع بعض التعديلات والرأي العام الأمريكي لا زال منقسما بشأن انغماس الإدارة الأمريكية بالشؤون الدولية تاركة خلف ظهرها شؤون الداخل الذي اظهر عجزا واضحا في معالجة الكثير من الأمور لاسيما بعد حوادث الأعاصير في كاترينا وغيرها من الولايات الجنوبية، السأم بدأ يطال المؤسسات الرسمية من جراء تفاقم الأوضاع في العراق والخسائر الجسيمة التي تعاني منها الولايات المتحدة على الساحتين العراقية والأفغانية بدأت تشكل ضغطا حقيقيا على الجمهوريين إضافة إلى فوز الديمقراطيين في الانتخابات الأخيرة ، وليس بوسع العالم المسيحي أن يوسع أبواب جهنم بوصف

الرئيس الفرنسي السابق من خلال التورط بفتح جبهة جديدة في العالم الإسلامي الشرق أوسطي .

إيران ماضية في التمسك بالالتزامات التي عقدتها على نفسها وتعهدت بها للشعب الإيراني من أنها لا يمكن أن تتخلى عن حقها في امتلاك ناصية التكنولوجيا النووية متكئة على مبدأ حق الشعوب في التقدم والنماء ،لكن هواجس المواطن الإيراني تتصاعد خشية أن يؤول الوضع الإيراني إلى ما آل إليه الوضع في العراق ،والشارع العربي لاسيما الخليجي تمت تهيئته لقبول فكرة تزايد الهواجس من تطور القدرات النووية الإيرانية تماما كما هي الهواجس السابقة من تزايد القدرات العسكرية العراقية وقدرتها على تهديد دول الجوار ،ما الذي يمكن أن نخلص إليه من كل ذلك السجال والمقاربات الموضوعية بين إيران المعنية بتغيير موقفها والولايات المتحدة الغارقة في همومها الداخلية والخارجية وطموحاتها الكونية؟

إيران لا يمكن أن تبقى طليقة من وجهة النظر الأمريكية وهي في موقع القلب من المشروع الأمريكي وجهده للسيطرة على الشرق الأوسط ،وما دام العالم بحاجة إلى الولايات المتحدة فأنها لا بد وان تجعل من هذا العالم جسرا للعبور صوب إيران، وهي متمهلة تماما في التعامل ليس بشأن الملف النووي بل بشأن إيران كدولة ونظام ومستقبل ،تماما مثلما تمهلت مع النظام العراقي السابق وأوهمت العالم بخطورته على امن المنطقة والعالم وبالتالي أغرقت العراق في بحر من الفوضى والدمار.

إيران من جانبها لا بد وان تفعل شيئا لا أن تتوقف عند حدود الاعتصام بمنطق الحق، فالحق يبقى مجردا دون وجود قوة تحميه ،وعلى الدبلوماسية الإيرانية أن تحاول قطع الطريق على المشروع الأمريكي واستثمار الحوار المباشر مع الولايات المتحدة ليس بصدد امن العراق فقط ،بل ببحث مجمل الإشكاليات المتعلقة معها ليس بوصفها الشيطان الأكبر بل بكونها الدولة العظمى القادرة على إيذاء إيران وتعطيل مجمل مشاريعها التنموية ومستقبل نظامها السياسي، مهمة ايران ليست وطنية فقط بل إقليمية ودولية، ينبغي أن تباشر على ضوء معطيات التحول في البيئة الدولية وان تسترشد بالواقعية السياسية، وتتخلى ولو قليلا عن المبدئية ، وان تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الدولية التي مكنت الولايات المتحدة من أن تكون جارا بقواتها لإيران وان تمسك بتلابيبها الأربع، وان لا تفسح المجال في أن تستثمر الولايات المتحدة الظروف الدولية والمتغيرات الإقليمية والأخطاء الإيرانية للمباشرة في استهدافها وبالتالي تصبح إيران المفتاح الرئيس للولايات المتحدة للسيطرة على العالم مثلما تريد.